ثروة النفط العربي والموقف السوفييتي من النزاع العربي ـ الاسرائيلي

سمير كنعاني

هل للثروة الهائلة من النفط الكامنة بوفرة في باطن اراضي الوطن العربي دور في صياغة السياسة السوفييتية تجاه النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟ وان كان لها مثل هذا الدور فما هو تأثيره على الموقف السوفييتي العام من هذا النزاع ؟ وما هي ابعاده ومعطياته ؟ وما هي مضامينه ودلالاته ؟ وكيف يمكن اخذ ذلك بالحسبان في معادلات موازين القوى المؤثرة في هذا النزاع ؟ وكيف يمكن ان يكون لثروة النفط هذه دور أشد فعالية في تعميق الالتزام السوفييتي بالقضية العربية والحق الفلسطيني في هذا النزاع ؟ وكيف ينعكس مثل هذا الدور على مستقبل العلاقات والروابط بين الشعوب العربية والاتحاد السوفييتي ؟

هذه وغيرها اسئلة عديدة سنحاول ان نجيب عليها من خلال تحليل المعطيات المتوفرة عن مستويات الانتاج والاستهلاك للنفط والغاز في الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى ، وكذلك متطلبات احتياجات الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية في المستقبل المنظور من النفط والغاز ، وأيضا ، ما يتوفر لدى الاتحاد السوفييتي من احتياطي مصادر الطاقة الاخرى في ضوء احتياطي الولايات المتحدة وبقية مناطق العالم الاخرى الفاعلة في التأثير ، آنيا وفي المستقبل ، في هذه المنطقة من العالم .

ولعل ما يفرض نفسه كمدخل لهذا الموضوع تلك المزاعم التي ما فتئت تروجها الدوائر الاستعمارية والصهيونية وابواقها الدعائية وعملاؤها في الاوساط الرجعية العربية حول المطامع السوفييتية في النفط العربي ، والاستحواذ على آبار النفط العربية الغزيرة والاستئثار بها ، وهي نغمة صيغت على نسق النغمة الاخرى التقليدية القائلة بتوق « الدب الروسي » وشوقه الدائم للابحار في المياه الدافئة الواقعة الى الجنوب والسيطرة على شواطئها .

فمن بين هذه النغمات على سبيل المثال مقال نشرته صحيفة « الجيروسالم بوست » الاسرائيلية على لسان مراسلها في باريس جاك موريس في ١٩٧٣/١٢/١٣ في خضم الاجواء الدبلوماسية المشحونة التي اعقبت حرب اكتوبر ، فقد جاء في المقال المذكور : « يتزايد اعتقاد الدوائر العسكرية والسياسية والدبلوماسية هنا (باريس) بانه قد تم التوصل الى اتفاق سري بين واشنطن وموسكو ستقع بموجبه بلدان النفط العربية تحت الاشراف الامريكي او السوفييتي المباشر بواسطة التدخل العسكري اذا اقتضت الضرورة ، وان هذا الحلف يشبه ما اقدم عليه البابا في القرون الوسطى يوم ان قسم العالم بين اسبانيا والبرتغال ، واتفاقيات مؤتمر يالطة عام ١٩٤٥ ، واتفاق هتلر ـ ستالين لاقتسام بولنده عشية الحرب العالمية الثانية في آب ١٩٣٩ . وكانت المجلة الفرنسية « نوفيل اوبزرفاتور » [الموالية للصهيونية] هي أول من أشار الى احتمال حدوث تدخل غربي عسكري ضد دول النفط العربية قبل اسابيع من نشوب حرب اكتوبر ، وان ذلك سيتم باستخدام قوات المظلات الايرانية والاسرائيلية بدعم من امريكا ...

وبموجب هذا الاتفاق سيبقى الاتحاد السوفييتي على الحياد ، ولكنه يقبض مقابل ذلك ثمنا باهظا ،